من معلمة "تربية مهنية" إلى "معلمة صف"

هالة الشيخ

هالة الشيخ

من الجميل أن يتذكر الإنسان ماضيه، ويستعيد ذكرياته القديمة، وأجمل الذكريات تلك التي قضيناها في المدرسة، حيث كنا نقضي فيها معظم أوقاتنا، وبالنسبة لي كانت المدرسة هي كل حياتي، حيث كنت طالبة متوفقة ومجتهدة، أحب المدرسة كثيراً، لدرجة أنني لا أذكر أني غبت يوماً عنها، وكنت إذا مرضت أذهب إلى الطبيب في فرصة المدرسة، وأرجع لأتابع بقية الحصص. ويرجع سبب شغفي وحبي للمدرسة إلى أنني كنت ألقى دعماً كبيراً من أبي لتفوقي، ومن معلماتي، وبخاصة معلمة الرياضيات، حيث أنها كانت تعتمد عليَّ في كثير من الأمور، وتوكل إلي العديد من المهام، ما ترك أثراً كبيراً في نفسيتي عزز حبي للمدرسة.

ومن الحوادث المؤسفة التي أثرت في نفسيتي بشكل كبير، وانعكست سلباً علي، ما حدث عندما سافرنا للخارج، وذلك عند بدء الانتفاضة الأولى، حيث تم التحاقي وقبولي بشكل مؤقت في مدرسة خاصة تابعة للتي يعمل بها والدي، لأن شهادتي كان ينقصها الختم، حيث نسيت والدتي تصديقها، وبعد مرور شهرين تم إحضار الشهادة مصدقة، لكن المشكلة لم تحل، حيث أن اسمي في الشهادة كان مكتوباً بشكل ثلاثي، وليس رباعياً، وعندما أرجعنا الأوراق والشهادات لكي يتم تعديها، لم توافق مديرة المدرسة على أن أتم دراستي على مسؤوليتها أكثر من ذلك، لذلك مكثت بالبيت طوال العام الدراسي، حيث مضى نصفه الأول دون أن تكتمل إجراءات التسجيل، وكانت سنة مريرة بالنسبة لي، وأنا أرى إخوتي يدرسون ويذهبون إلى المدرسة، فيما أبقى وحيدة في البيت.

إلا أني تجاوزت هذه المحنة، والتحقت بالمدرسة في العام الذي يليه، وكنت من الطالبات المميزات دائماً، وساعدني في ذلك أسلوب المعلمة اللطيف في تعاملها مع الطالبات، حيث كانت تعاملني كابنة لها، وتقول لي «يا ماما»، إضافة إلى ابتسامتها اللطيفة، وهدوئها وحنانها، وكانت تشجعني على المذاكرة، وتجلب لي الهدايا إذا حققت نجاحاً مميزاً، وأذكر أنها علقت صورتي داخل الصف، وكتبت عليها الطالبة المثالية، وهذه المعاملة أثرت بي، ودفعتني إلى الاستفادة من أسلوبها في التعامل مع الطالبات في الوقت الحالي.

بعد انتهاء الانتفاضة، رجعنا إلى بلدنا لكي أتم دراستي والتحقت بالفرع العلمي. كنت أحب مهنة التدريس كثيراً، وكنت دائماً أقلد دور المعلمة، لذلك قررت أن ألتحق بكلية معهد المعلمين، وتخصصت في «الاقتصاد المنزلي»، وحصلت على دبلوم تربية مهنية، لأدرس طالبات التربية المهنية، حيث إن هذا التخصص جميل ومسل، ويخرج عن نطاق التلقين، وتوجد فيه أشغال يدوية كثيرة.

ومن المواقف التي أثرت بي في الحصص العملية، عندما كنت أطلب مشغولات من الطالبات، وكانت بعض الطالبات لا يحضرن نظراً للظروف المادية الصعبة التي تمر بها أسرهن، ما جعلني

أستخدم أسلوب المجموعات، والعمل على توفير هذه المشغولات من ميزانية المدرسة، ووجدت أن العمل الجماعي يكسر حاجز الخوف والخجل لدى بعض الطالبات، ويبرز مواهبهن الدفينة، وتأكدت أن لكل طالبة دوراً فعالاً في إنجاح العمل، ويجب عدم إهمال أي طالبة لخجلها أو هدوئها وغير ذلك. وبعد مرور عشر سنوات من تدريسي لهذا التخصص للمرحلة الأساسية العليا، التحقت بجامعة القدس المفتوحة كي أدرس تخصصاً آخر، يسمح لي بالدخول إلى عالم آخر، وهو عالم المرحلة الأساسية الدنيا؛ العالم الجميل الذي يجهل الكثير منا التعامل معه، وحصلت على درجة البكالوريوس في التربية الابتدائية.

منذ دخولي إلى عالم الطفولة الجميل حيث البراءة في كل شيء، اكتسبت الكثير من الخبرات، ولقد وجدت أن أجمل شيء هو التعامل مع الأطفال الصغار. وصلت إلى هذه القناعة من خلال قصص الأطفال البريئة عن أسرهم، وحديثهم بشكل عفوي عن أمور حصلت داخل البيت، وبدأت أشعر بمدى حبهم لي من خلال إحضارهم الأزهار بشكل يومي، وانتظارهم مجيئي إلى المدرسة ليتسابقوا في حمل حقيبتي وكتب المدرسة، ورغبة كل طالبة في أن تكون مسؤولة عن شيء، وأن هؤلاء الطالبات يمتلكن طاقة كبيرة ورغبة في العمل والتعلم، وأصبحت أستمتع بتدريس هؤلاء الطالبات، وما جذبني أكثر هو تبادل الحديث والقصص معهن، وبخاصة في حصص التربية الفنية، حيث لاحظت خلالها أن رسومات الطالبات كانت تتمحور حول دروس اللغة العربية التي تشكل رواية وأحداثاً لشيء ما، بحيث تتفنن الطالبات برسم شخصيات الدرس، ويحكين لي أحداث الدرس على شكل قصة، وقد اكتشفت العديد من الطالبات المبدعات في الغناء والتمثيل والرسم، إضافة إلى الطاقة الكبيرة التي تمتلكها هؤلاء الطالبات، وقدرات وأمور أخرى كنت أجهلها في الحصص الأخرى، وأصبحت أؤمن بضرورة الاقتراب أكثر من هؤلاء الطالبات، لكي يسهل التعامل معهن، حيث أنني قمت بالاتصال مع ذوي إحدى الطالبات، وطلبت منها أن تشتري قصصاً لابنتها، وأن تأتي هذه الطالبة عندي في الصباح لنقرأ هذه القصص، إضافة إلى التدرب عليها إملائياً، ومناقشة أحداث هذه القصص، وقد طلبت من سكرتيرة المدرسة أن تجلب كتاب الرياضيات للصف الأول للتدرب على أساسيات الرياضيات، ولاحظت تحسناً كبيراً على نفسية الطالبة وحبها للتعلم، وأخذت الفجوة تصغر بينها وبين زميلاتها لتأخرها عنهم، إضافة إلى تعلقها بي أكثر ومحاولتها الاقتراب مني بشكل كبير، وزادت مشاركة هذه الطالبة في الحصة، إضافة إلى صقل شخصية الطالبة والعمل على التعامل معها وفق قدراتها ومواهبها، وكذلك ظروفها الشخصية، وساعدني في ذلك كوني معلمة صف، أبقى مع الطالبات أنفسهن طيلة اليوم.

هذا النمط من التعامل جعلني أزرع في نفوس هؤلاء الطالبات حبهن لصفهم والمحافظة عليه وتجميله، فضلاً عن شعورهن أننا أسرة واحدة، وأنهن أخوات، وإنني بمثابة والدتهن، ما عزز ثقتهن بنفسهن. إن أهمية الشعور الأسري في الصف يعزز انتماء الطالبات، ويزيد ثقتهن بأنفسهن وبمعلمتهن. أما بالنسبة لي، فكنت أشعر بالارتياح من أن كل شيء داخل الصف يجري على ما يرام؛ سواء كنت موجودة أو غائبة، ولا داعٍ للقلق على الطالبات في حال غيابي، وأنا بدوري أصبحت أحب مهنتي كثيراً، على اعتبار أنها مهنة إنسانية شريفة ذات قيمة إنسانية، وأتمنى أن أستمر على هذا النهج، وأن أعمل على جلب كل ما هو مفيد ويخدم مصلحة طالباتي من الأساليب المجدية في التعامل مع هؤلاء الطالبات، والابتعاد عن أسلوب التلقين، والاستماع إلى رأي الطالبات، والعمل على تصويب أخطائهن، واستخدام المحسوسات والصور والتجارب العملية التي ترسخ في ذهنهن نتيجة لتجاربهن، وكذلك تمثيل أحداث الدرس، ما يعزز قدرة الطالبة على التعبير، ويقوي شخصيتها، كما أن اتباع نظام المجموعات، وتوزيع دور كل طالبة في المجموعة، ساهم في تعزيز روح التعاون لدى الطالبات، ونمّى لديهن حب البحث والمعرفة.

مدرسة بنات رافات الثانوية

طالبة من مدرسة بنات رافات الأساسية تعملان على تنفيذ مجسم فني ضمن مشروع أطفال الشمس مع الفنانة دينيث ودارتشيج من سيريكلانكا الفنانة دينيث ودارتشيج من سيريكلانكا.